وأياما كان فهذه الجملة قد أخرجت من حكم النهي القوم الذين لم يقاتلوا في الدين ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم . واتصال هذه الآية بالآيات التي قبلها يجعل الاعتبارين سواء فدخل في حكم الآية أصناف وهم حلفاء النبي A مثل خزاعة وبني الحارث بن كعب عبد مناة بن كنانة ومزينة كان هؤلاء كلهم مظاهرين النبي A ويحبون ظهوره على قريش ومثل النساء والصبيان من المشركين وقد جاءت قتيلة " بالتصغير ويقال لها : قتلة مكبرا " بنت عبد العزي من بني عامر بن لؤي من قريش وهي أم أسماء بنت أبي بكر الصديق إلى المدينة زائرة ابنتها وقتيلة يومئذ مشركة في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول ا A وبين كفار قريش بعد صلح الحديبية " وهي المدة التي نزلت فيها هذه السورة " فسألت أسماء رسول ا A : أتصل أمها ؟ قال : نعم صلي أمك وقد قيل : إن هذه الآية نزلت في شأنها .

وجود لأن الخ (الدين في يقاتلوكم لم الذين) من اشتمال بدل (تبروهم أن) وقوله A E ضمير الموصول في المبدل وهو الضمير المنصوب في (أن تبروهم) يجعل بر المسلمين بهم مما تشتمل عليه أحوالهم . فدخل في الذين لم يقاتلوكم المسلمين في الدين نفر من بني هاشم منهم العباس بن عبد المطلب والذين شملتهم أحكام هذه الآية كلهم قد قيل إنهم سبب نزولها وإنما هو شمول وما هو بسبب نزول .

ولبر : حسن المعاملة والإكرام . وهو يتعدى بحرف الجر يقال : بر به فتعديته هنا بنفسه على نزع الخافض .

والقسط : العدل . وضمن تقسطوا معنى تفضلوا فعدي ب (إلى) وكان حقه أن يعدى باللام . على أن اللام و (إلى) يتعاقبان كثيرا في الكلام أي أن تعاملوهم بمثل ما يعاملونكم به من التقرب فإن أحد يمثل ما عامل به من العدل .

وجملة و (إن ا يحب المقسطين) تذييل أي يحب كل مقسط فيدخل الذين يقسطون للذين حالفوهم في الدين إذا كانوا مع المخالفة محسنين معاملتهم .

وعن أبي وهب قال سألت ابن زيد عن قوله تعالى (لا ينهاكم ا) الآية قال : نسخها القتال قال الطبري لا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ لأن بر المؤمنين بمن بينه وبينه قرابة من أهل الحرب أو بمن لا قرابة بينه وبينه محرم إذا لم يكن في ذلك دلالة على عورة لأهل الإسلام . اه .

ويؤخذ من هذه الآية جواز معاملة أهل الذمة بلإحسان وجواز الاحتفاء بأعيانهم .

(إنما ينههيكم ا عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم

أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون [9]) فذلك لما تقدم وحصر الآية المتقدمة . وهي تؤذن بانتهاء الغرض المسوق له الكلام من أوله .

والقصر المستفاد من جملة (إنما ينهاكم ا) إلى آخرها قصر قلب لرد اعتقاد من ظن أو شك في جواز صلة المشركين على الإطلاق . والذين تحققت فيهم هذه الصفات يوم نزول الآية هم مشركوا أهل مكة و (أن تولوهم) بدل اشتمال من (الذين قاتلوكم) .

(ومن يتولهم) شرط وجيء في جواب الشرط باسم الإشارة لتمييز المشار إليهم زيادة في إيضاح الحكم .

والمظاهرة : المعاونة . وذلك لأن أهل مكة فريقان منهم من يأتي بالأسباب التي لا يحتمل المسلمون معها البقاء بمكة ومنهم من بعين على ذلك ويغري عليه .

والقصر المستفاد من قوله (فأولئك هم الظالمون) قصر ادعائي أي أن ظلمهم لشده ووقوعه بعد النهي الشديد والتنبيه على الأخطاء والعصيان ظلوا لا يغفر لأنه اعتداء على حقوق ا وحقوق المسلمين وعلى حق الظالم نفسه .

(يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ا أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) لا خلاف في أن هذه الآيات آخر السورة نزلت عقب صلح الحديبية وقد علمن أنا رجحنا أن أول السورة نزلت قبل هذه وأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين كان عند تجهز رسول ا A للحديبية